المحاضرة 5: فن سومر وأكاد (حضارة ما بين النهرين)

1. الأهداف التعلّمية

بنهاية هذه المحاضرة، يكون الطالب قادرًا على:

- فهم الخصائص الفنية لحضارة بلاد الرافدين في عصر السلالات الأولى.
- تحليل الزيقورات كتعبير معماري وديني.
- تفسير تماثيل العابدين ورمزية العيون الكبيرة.
- تقييم وظيفة الأختام الأسطوانية وراية أور في السياق الاجتماعي والديني.

2. سومر: الإطار التاريخي

سومر هي أقدم حضارة في جنوب بلاد الرافدين (جنوب العراق الحالي)، ازدهرت من نحو 3500 إلى 2000 ق.م. أنتجت أول كتابة مسمارية، أول مدن (أور، الوركاء، لكش)، أول قوانين، وأول مدارس.

خصائص الفن السومري:

- عمارة طينية: الطين هو المادة الأساسية، والحجر يُستورد.
- النقوش البارزة: على الأختام والمسلات.
- الرمزية الدينية: الفن في خدمة المعبد والآلهة.
- الوظيفية: لا فن للفن، بل فن للطقس.

3. الزيقورات: سلّم بين الأرض والسماء

3.1. التعريف

الزيقورة (Ziggurat) هي معبد برجي مدرّج، من الطين اللين، يصعد إليه سلّم مركزي وسلالم جانبية. كلمة "زيقورة" مشتقة من "زيقوراتو" الآشورية وتعني "العالية" أو "المرتفعة."

3.2. زيقورة أور (Ziggurat of Ur)

- الموقع: أور، جنوب العراق.
- التأريخ: نحو 2100 ق.م، في عهد أور-نامو وشولجي.
- البنية: مستطيلة (45 × 60 م)، 23 م ارتفاعًا، ثلاث طبقات، سلالم مركزية وجانبية.
- المواد: طوب محروق في الخارج، طوب لبن في الداخل، مع طبقات من الحصر والقصب لتقوية البناء.

·الوظيفة: معبد للإله نانا (إله القمر). الزيقورة ليس مكانًا للعبادة الجماعية، بل مسكن الإله، والكهنة فقط يصعدون إليها.

3.3. الرمزية

الزيقورة ترمز إلى الجبل المقدس (المحور الكوني، axis mundi) الذي يربط الأرض بالسماء. في زيقورة أور، زُرعت أشجار على المدرجات لتجعلها تشبه الجبل. هذا يعكس تصورًا كونيًا حيث الملك هو وسيط بين الآلهة والبشر.

4. النحت: تماثيل العابدين

4.1. التعريف

تماثيل العابدين (Votive Figures) هي تماثيل صغيرة (10–30 سم) لرجال ونساء، تُوضع في المعابد كنوع من النذر (تقديم قربان دائم للآلهة). اكتُشفت بكثرة في معبد إشنونا.(Tell Asmar)

4.2. الخصائص الفنية

·العيون الواسعة: هي أبرز سمة في هذه التماثيل. العيون كبيرة جدًا، محفورة بعمق، محدّقة نحو الأمام، مع حدقات من الأحجار الكريمة (لازورد، عقيق).

·الأيدي: مضمومة على الصدر، في وضعية الصلاة.

·الملابس: تنورة (kaunakes) من صوف الماعز، بخطوط متعرجة.

·الأشكال: مستديرة، قصيرة، بلا تفاصيل تشريحية دقيقة.

4.3. رمزية العيون الواسعة

·اليقظة الروحية: العيون الواسعة تعبر عن حالة من التأهب الروحي والخشوع أمام الآلهة.

·الحضور الدائم: التمثال بديل رمزي عن صاحبه، ينوب عنه في المعبد. العيون الواسعة تجعله "يرى" الآلهة دائمًا.

·الرهبة المقدسة: العيون الكبيرة تعكس الخوف المقدس والاحترام أمام حضور الإله.

5. الأختام الأسطوانية: وسيلة تواصل وتوثيق

5.1. التعريف والوظيفة

الختم الأسطواني (Cylinder Seal) هو أسطوانة صغيرة من الحجر (المرمر، اللازورد، العقيق، الهيماتيت)، منقوشة بمشاهد ورموز، تُدار على الطين اللين لتُنتج انطباعًا.(impression)

الوظائف:

·توثيق الوثائق: يُختم على الألواح الطينية للتصديق.

·تمييز الملكية: يُختم على السلع والأواني.

·التعريف بالشخص: كل شخص له ختم خاص يعكس مكانته الاجتماعية.

5.2. الموضوعات

·مشاهد دينية: وقوف المصلين أمام الآلهة، تقديم القرابين.

·مشاهد أسطورية: صراع الأبطال مع الوحوش، جلجامش مع الأسد.

·مشاهد يومية: الزراعة، الصيد، الولائم.

5.3. التطور في العصر الأكدي

في العصر الأكدي (2334–2154 ق.م)، تطورت الأختام:

·نقش أعمق.

·تكوين أكثر توازنًا.

·ديناميكية جديدة في الحركة.

6. راية أور: أيقونة الفن السومري

راية أور (Standard of Ur) هي قطعة خشبية مستطيلة، مطعّمة بـ الأصداف واللازورد والحجر الأحمر، وُجدت في المقبرة الملكية في أور (نحو 2600–2400 ق.م). تُظهر وجهين: وجه الحرب ووجه السلام.

- **وجه الحرب**

·المشهد: عجلات حربية تجرها حمير برية، جنود يلبسون خوذات وعباءات، أعداء يُقتلون أو يُؤسرون.

·التكوين: مشهد هرمي، الملك في قمة الهرم، الجنود في الأسفل، الأعداء مهانون.

·الرسالة: القوة العسكرية للملك، الانتصار على الأعداء.

- **وجه السلام**

·المشهد: وليمة، ملوك وأعيان يجلسون، خدم يحضرون الطعام والشراب، موسيقيون يعزفون.

·التكوين: مشهد هرمي، الملك في القمة، الخدم في الأسفل.

·الرسالة: الازدهار والاستقرار في زمن السلام.

راية أور ليست مجرد عمل فني، بل هي وثيقة سياسية ودينية:

·تشريع سلطة الملك.

·تبرز العلاقة بين الحرب والسلام (الحرب لحماية السلام.(

·تعكس التسلسل الهرمي في المجتمع السومري.

7. أكاد: سرجون ومسلة نارام سين

7.1. الإمبراطورية الأكدية

سرجون الأكادي (2334–2279 ق.م) أسس أول إمبراطورية في التاريخ، ووحّد بلاد الرافدين. ويعتبر الفن الأكدي أكثر ديناميكية وواقعية من الفن السومري.

7.2. مسلة نارام سين (Stele of Naram-Sin)

·التأريخ: نحو 2254–2218 ق.م، في عهد نارام سين (حفيد سرجون).

·الموقع: وُجدت في سوسة (إيران)، معروضة اليوم في متحف اللوفر.

·البنية: مسلة من الحجر الجيري، ارتفاعها 2 متر، قمة مستديرة.

·المشهد: نارام سين في القمة، ملتحيًا، متوجًا، يحمل قوسًا وسهمًا، يطأ بقدميه أجساد أعدائه. جنوده يصعدون خلفه، الأعداء يهربون أو يسقطون.

·الابتكار الفني:

· التركيب الهرمي أفقي (وليس صفوفًا كما في الفن السومري).

· الحركة والديناميكية في صعود الملك وجنوده.

· الرمزية الدينية: نارام سين يضع تاجًا بقرنين — رمز إلهي — مما يعني تأليه الملك.

·الأهمية: مسلة نارام سين هي أول عمل فني يُصوّر ملكًا كـ إله، مما يعكس التحول السياسي والديني في العصر الأكدي.

8. خصائص الفن الرافدي (السومري والأكدي)

الخصيصة	الشرح
العمارة الطينية	الطين هو المادة الأساسية، والزيقورة هي النموذج الأبرز
النقوش البارزة	على الأختام والمسلات والراية، بمشاهد دينية وعسكرية
الرمزية الدينية	الفن في خدمة المعبد والآلهة، والعيون الواسعة رمز الحضور الإلهي
الدعاية السياسية	راية أور ومسلة نارام سين تُشريع لسلطة الملك
التطور الفني	من الجمود السومري إلى الديناميكية الأكدية

9. النشاط التطبيقي: تحليل راية أور

1. وصف الوجهين: وجه الحرب (عجلات، جنود، أعداء) ووجه السلام (وليمة، خدم، موسيقيون.(

2. تحليل التكوين: كيف يُصوّر الملك؟ ما موقعه في المشهد؟ ما العلاقة بين الشخصيات؟

3. التفسير: ما الرسالة السياسية للراية؟ كيف تُشرعن السلطة؟

4.المقارنة: قارن راية أور بـ مسلة نارام سين من حيث التكوين والرسالة.

5.الخلاصة: راية أور ليست مجرد صورة، بل بيان سياسي يُبرز قوة الملك وازدهار المملكة.

10.أسئلة للنقاش والتقويم

1. سؤال تحليلي: لماذا كانت العيون الواسعة سمة بارزة في تماثيل العابدين؟ ما وظيفتها الرمزية؟

2. سؤال تطبيقي: قارن بين الزيقورة والكروموليك (ستونهنج) من حيث الوظيفة والرمزية.

3. سؤال نقدي: كيف تُشرعن راية أور سلطة الملك؟ ما الأساليب الفنية المستخدمة؟

4.سؤال مقارن: ما أوجه التشابه والاختلاف بين مسلة نارام سين وراية أور من حيث الموضوع والتكوين؟

مراجع مقترحة:

- شمس الدين فارس وزملاؤه، تاريخ الفن القديم.
- خزعل الماجدي، الحضارات السامية القديمة.
- Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, Yale University Press.
- Collon, D., First Impressions: Cylinder Seals in the Ancient Near East, British Museum Press.

هاتان المحاضرتان تُظهران التحول الجذري في الفن: من فن الكهوف (الباليوليتي) إلى فن القرى الزراعية (النيوليتي)، ثم إلى فن الحضارات الحضرية (سومر وأكاد). إن الفن، في كل مرحلة، يعكس البنية الاجتماعية والمعتقدات الدينية والعلاقات السياسية. الطالب الذي يستوعب هذا الخط التطوري، يكون قد اكتسب رؤية شاملة لتاريخ الفن القديم.